

اِسْمَاءُ اللَّهِ حُسْنُهُ

4

الْحَسَنُ

الْمَكِينُ

الْمَلِكُ

ترجمة: د. محمد بن عبد الله
مطبعة دار الفکر، بيروت

الْحَبِيبُ

كان مشهداً عجيباً ومؤثراً ذلك الذي شاهده بنو إسرائيل ، ففي لَمَحِ الْبَصَرِ انشقَّ الْبَحْرُ وعبر موسى وبنو إسرائيل على أرضٍ بَاسَةٍ ، وعندما حاول فرعونُ ذلك الْمُعَكَّبُ الْعَنِيدُ أَنْ يُلْحِقَ بِهِمْ لَكَّى يَفْسِنَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ أَذْرَكَهُ الْفَرَقُّ ، فصاح وهو في سَكَرَاتِ الْمَوْتِ : آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بنو إسرائيل .

لكن الأمواج كانت قد ابتَلَعَتْهُ ، ثم لم تَلْبَثْ أَنْ طَرَحَتْهُ عَلَى الشَّاطِئِ بِجَسَدِهِ مَبْتَأً بِلَا حِرَاكَ ، وجعل النَّاسُ يَمْرُونُ عَلَيْهِ وَهُمْ يَتَعَجَّبُونَ وَيَقُولُونَ :

— سُبْحَانَ الْجَبَّارِ ، الَّذِي أَهْلَكَ هَذَا الطَّاغِيَةَ
الْمُتَجَبَّرَ ، فَإِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُنَازِعُهُ أَحَدٌ فِي سُلْطَانِهِ
وَمَلَكُوتِهِ إِلَّا قِصَمَهُ ١

وَمَرَّتْ قَافِلَةُ الزَّمَانِ حَتَّى شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ
بِذِيَنِ الْحَقِّ ، فَعَلِمَ أُمَّتَهُ الْخَوَاضِعَ وَالرُّحِمَةَ ، وَأَنَّ الْعِزَّةَ
لِلَّهِ وَالْمُلْكَ وَالْجَبَرُوتَ لِلَّهِ ، فَهُوَ الْجَبَّارُ الَّذِي يَنْفَعُ
مَشِيئَتُهُ فِي خَلْقِهِ وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى إِمْلَاءِ مَشِيئَتِهِ
عَلَيْهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَهُوَ الْمُسْتَقَرُّ بِعُلُوِّ مَرَاتِبِهِ ، وَيَخْضَعُ
لِعَظَمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ كُلُّ شَيْءٍ .. كُلُّ شَيْءٍ .

وَمِنْ مَعَانِي اسْمِهِ تَعَالَى وَالْجَبَّارُ ، أَيْضًا أَنَّهُ تَعَالَى
يُصْلِحُ شُؤْنَ النَّاسِ ، وَهُوَ الْمُتَكَفِّلُ بِجَبْرِ مَفَاقِرِ خَلْقِهِ
وَيَكْفِيهِمْ أَسْبَابَ الْمَعَاشِ وَالرِّزْقِ ..

فَالْجَبَّارُ مُشْتَقٌّ مِنْ « جَبَرَ » بِمَعْنَى أَغْنَى الْفَقِيرَ
وَأَصْلَحَ الْكَاسِيرَ ، حَيْثُ إِنَّ الْجَبْرَ فِي اللَّعْمَةِ مَعْنَاهُ
الْإِصْلَاحُ .

والجبارُ أيضاً يعنى العالى الذى لا يصلُ إليه
أحدٌ ولا يستطيعُ أحدٌ أن يَنَالَهُ بِشَيْءٍ ، فاللهُ سبحانه
وتعالى هو الذى لا يُنالُ . وقد قيلَ للنحلة التى لا يصلُ
إليها أحدٌ نحلة جبارة على سبيل التشبيه .

والجبارُ كوصفٍ من أوصافِ الله تعالى وكاسمٍ من
أسمائه الحُسنى وصفٌ حميدٌ ليس ذمماً ، لأنَّ اللهَ
تعالى منزَّهٌ عن كُلِّ ما يُناقضُ كَماله المطلقَ ،
فالجبروتُ البغيضُ هو أنْ تجبرَ إنساناً وتقهرة على
ما تريدُ حتى وإنْ كانَ فى هذا القهرِ ظلمٌ أو عدوانٌ ،
أو فيه ما يتعارضُ مع مصلحته . لكن لو نظرتُ إلى
جبروتِ الله تعالى لو جدته فى صالح الإنسان ، وليسَ
ضدهُ أو ضدَّ مصلحته ، لأنَّه سبحانه وتعالى يُحبُّ
خلقَهُ ويريدُ لهمُ الثوابَ والكرامةَ .

ولو تركَ الله أمرَ الإنسانَ لنفسِهِ لما خلا مِنَ الْعَبَثِ
والمُعاناةِ والألمِ ، ولتوقفتْ مسيرةُ الحياةِ .

أما لفظ (الجبار) حينما يكون وصفاً

للشَّير، فيأله من وصف بغيض ذميم، يملأ النفس
بالجزع والرعب لمجرد ذكر صاحبه، لأنه يمثل أسوأ
صور اعتداء الإنسان على أخيه الإنسان، على الرغم
من أن الناس جميعاً سواسية كأسنان المشط.

وقد احتفظ التاريخ بنماذج من البشر وصلوا إلى
حد من الطغيان والظلم لا يطاق، لكن الله تعالى كان
لهم بالمرصاد.

فالنمرود الذي زعم - وهو يجادل سيدنا إبراهيم -
أنه مثل الله يحيى ويميت، أماته الله ميتة ذليلة
وجعله عبرة لمن يعتبر.

وفرعون وهامان وجنودهما، هؤلاء الجبارون
المتغطرسون، ماتوا غرقاً وفي الآخرة لهم أشد
العذاب.

وطواغيت مكة وجباروها الذين حاربوا الرسول ﷺ،

وَكَفَرُوا بِاللَّهِ وَصَمُّوا آذَانَهُمْ عَنْ سَمَاعِ
الْحَقِّ ، وَنَطَشُوا بِالْمُسْلِمِينَ ، مَا تَرَا جَمِيعًا فِي أَوَّلِ
مَعْرَكَةٍ بَيْنَ الْحَقِّ وَالنُّورِ فِي مَعْرَكَةِ بَدْرِ الْكُبْرَى .
مَاتَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ وَأَبُو لَهَبٍ ، وَكَانَ مَقْتُلُ
الْوَلِيدِ عَلَى يَدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ الَّذِي كَانَ عَبْدًا
مَمْلُوكًا لَهُ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ .

وَلَا تَخْلُو الْحَيَاةُ أَبَدًا مِنْ وُجُودِ هَؤُلَاءِ الْجَبَّارِينَ ،
فَهُمْ مَوْجُودُونَ فِي كُلِّ عَصْرِ ، وَلَهُمْ صُورٌ مُخْتَلِفَةٌ ،
لَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى دَائِمًا لَهُمْ بِالْمُرْصَادِ ، وَهُوَ الْجَبَّارُ الْقَهَّارُ
الَّذِي لَا يَخْرُجُ شَيْءٌ فِي الْوُجُودِ عَنْ إِرَادَتِهِ وَحُكْمَتِهِ .
قَالَ تَعَالَى :

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ
الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ﴾ .

(الحشر: ٢٣)

فَسُبْحَانَ الْجَبَّارِ الَّذِي عَنَتَ لَهُ الْوُجُوهُ ، وَخَضَعَ لَهُ
كُلُّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ !

الْمُتَكَبِّرِينَ

تِلْكَ الْخَزَائِنُ الْمُكْنُظَةُ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ - الَّتِي مَنَحَهُ
اللَّهُ إِيَّاهَا - جَعَلَتْهُ يَمْشِي بَيْنَ النَّاسِ فِي زُهوهِ وَعُزُورِهِ
وَكِبَرِيَّائِهِ ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ مَنْ هُوَ
أَفْضَلُ مِنْهُ حَتَّى نَبِيُّ اللَّهِ مُوسَى نَفْسِهِ ، وَنَسِيَ قَارُونَ أَنَّ
هَذَا الْمَالُ هُوَ مَا لُلهُ فَازْدَادَ كِبَرًا لَمَّا كَانَ يَخْطُرُ عَلَى النَّاسِ
فِي زِينَتِهِ ، وَيَمْشِي مِثْلَ الْمُتَكَبِّرِينَ الْمُعْطَرِسِينَ .

لَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى - بَعْدَ أَنْ أَعْطَاهُ الْفُرْصَةَ وَأَمَهَلَهُ وَأَنْذَرَهُ - أَمَرَ
الْأَرْضَ فَانْشَقَّتْ وَابْتَلَعَتْ قَارُونَ وَكُنُوزَهُ وَقُصُورَهُ فَاصْبَحَ
عِبْرَةً لِقَوْمِ مُوسَى وَالْمُسْتَضَعْفِينَ فِي الْأَرْضِ .

وجعل الناس ينظرون إلى ما حدث لهذا

المتكبر فيحمدون الله الذي خلصهم منه ولسان حالهم يقول :

— بعداً لهذا المتكبر ، فالعظمة والكبرياء لله وحده ..

ومرت القرون ودارت عجلة الزمان ، وما زال الناس يعضون المتكبرين من البشر ، لأن الكبرياء من حق الله تعالى وحده . فالتكبر هو الله .. وهو يعنى أنه تعالى هو المتفرد بالعظمة والكبرياء ، المتعالى عن صفات الخلق ، فلا كبرياء إلا لنفسه ، وكل مخلوقات خاضعة لعظمته ، فالتكبر وصف لا يليق إلا به تعالى لأنه يدل على صفات الكمال والجلال والعظمة .

فعن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : يطوى الله عز وجل السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول : أنا الملك ،

أَيْنَ الْجَبَّارُونَ ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ ؟ ثُمَّ يَطْوِي
الْأَرْضِينَ بِشِمَالِهِ ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ ؟
أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ ؟ (رواه مسلم)

هذه الحقائق ينبغي أن تكون كالمسلمات التي لا تقبل
الشك ، فالمسلم يؤمن بكل صفات الله الدالة على
مطلق كماله وجلاله ، لكن الجاحدين والمتكبرين
هم الذين يَمُرُّون على آيات الله فلا يلتفتوا إليها .

والكبر هو الذي يَمِيعُ الْبَشَرَ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى هَذِهِ
الْمَعْرِفَةِ ، فهو يُشَبِّهُ السَّائِرَ الَّذِي يَحْجُبُ الرُّؤْيَا ،
وهو يَهَيِّئُ لِلْإِنْسَانِ أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ الْبَشَرِ ، وَيَجْعَلُهُ
يَنْسِي أَنْ الَّذِي أُعْطَاهُ الْمَالَ وَالصِّحَّةَ وَالْمَنْصِبَ هُوَ اللَّهُ
وَحْدَهُ ، تَمَامًا كَمَا نَسِيَ قَارُونُ أَنَّ خَزَائِنَهُ الْمُمْتَلِئَةَ
بِالذَّهَبِ مَا هِيَ إِلَّا عَطَاءٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَلِذَلِكَ فَعِنْدَمَا
حَدَّثَ لَهُ مَا حَدَّثَ لَمْ تُعْنِ عَنْهُ خَزَائِنُهُ وَلَا أَمْوَالُهُ مِنْ
اللَّهِ شَيْئًا .

وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ

أنه قال : قال الله عز وجل : العظمة إزارى ،
والكبرياء ودائى ، فمن نازعنى فيهما ألقيته فى النار ،
وفى رواية : فصمته ولا أبالى .

(رواه الإمام أحمد وأبو داود)

لذلك فإن من أعظم الذنوب التى يرتكبها الإنسان
ذلك المخلوق الضعيف فى حق نفسه ، أن يتحل من
الصفات ما ليس من حقه ، وما لا يصلح له من
صفات لا تجوز إلا للحق جل وعلا .

ولأن المسلمين كانوا حريصين على الالتزام بالقرآن
والسنة ، فقد كانوا يسألون النبي ﷺ عما يجوز لهم
وعما لا يجوز حتى لا يقعوا فى الإثم ، فقد سمع رجل
الرسول ﷺ وهو يقول : لا يدخل الجنة من كان فى
قلبه مثقال ذرة من كبر . فلم يلبث الرجل أن سأل
الرسول ﷺ فى خوف وجل وقال : يا رسول الله ،
إنى امرؤ أحب أن تكون ثيابى نظيفة فعلى

نظيفة ، فهل أكون بذلك من المتكبرين ؟

لكن الرسول ﷺ طمأن فزاد هذا الرجل الصالح وقال : « إن الله جميل يحب الجمال .. الكبر بظن

الحق وغمط الناس ،

وأدرك الرجل وأدرك معه كل المسلمين أن الكبر ليس في المظاهر ، ولكنه في داخل النفس ، وفي السلوك السيئ القبيح .

فالمسلم النظيف الأنيق الذي تظهر آثار نعمة الله عليه ليس متكبرا ، لأنه يعلم أن ما فيه من نعمة إنما هو من عند الله ، أما المتكبر المتغطر فإن نفسه مريضة ، وسلوكه لا يدل إلا على الاستعلاء وربما ساقه هذا الاستعلاء إلى ظلم الناس وتضييع حقوقهم وإلى الشرك والجحود .

على أن الذي يريد أن يعلى قدر نفسه ومكانته ، فإن ذلك لا يكون إلا بالاستمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، ففي ذلك عزة كل مسلم وكرامته ، ومن تواضع لله راقته .

اللقاء

كَانَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْأَجَانِبِ مِنْ مُخْتَلَفِي
التَّخَصُّصَاتِ مُجْتَمِعِينَ ذَاتَ مَسَاءٍ ، مِنْ أَجْلِ التَّبَاحُثِ
فِي بَعْضِ الْمَسَائِلِ الْمَهْمَةِ الَّتِي أَثَارَهَا الْعِلْمُ الْحَدِيثُ ،
وَكَانَ بَيْنَهُمْ عَالِمٌ مُسْلِمٌ .

قَالَ أَحَدُهُمْ فِي زَهْوٍ :
- لَقَدْ اكْتَشَفَ الْعِلْمُ الْحَدِيثُ أَحَدَ الْوَسَائِلِ الَّتِي
سَتَجْعَلُ مِنَ الْإِنْسَانِ سَيِّدًا لِهَذَا الْكَوْنِ بِلَا شَكٍّ ؟
فَرَدَّ عَلَيْهِ الْآخَرُ وَهُوَ يُدَاعِبُهُ :

- أَجَلْ ، إِنَّ الْاِكْتِشَافَاتِ الْعِلْمِيَّةَ الْحَدِيثَةَ الَّتِي خَلَقَهَا
الْإِنْسَانُ ..

فقاطعه أحد العلماء المسلمين الذي كان
حاضراً بحكم تخصصه ، وقال في ابتسامة عريضة :
- كفى .. لا تكمل « فالخالق » بحق هو الله ،
ولا يجب أن ننسى هذه الحقيقة في غمار نشوتنا
بهذه المنجزات العلمية ، والسيد الحقيقي للكون
والإنسان هو ربّه الذي خلقه من عدم ، وسوف أفسر
لكم ذلك ونحن على الطعام .

أثار حديث العالم المسلم فضول هؤلاء العلماء
فسألوه في دهشة :
- ما معنى قولك : « الخالق بحق هو الله » ؟ وهل
هناك خالق بحق وخالق بغير حق ؟
وفي ثقة أجاب المسلم قائلاً :

- انظروا إلى السماء التي فوقكم ، والنجوم التي
تدلى منها كما تدلى القناديل ، والمجرات
والمجموعات الشمسية .. ألا ترون أساعها ؟ من الذي

يَقْدِرُ عَلَى إِيجَادِهَا ؟ وَهَلْ كَانَ لَهَا وَجُودٌ
مِنْ قَبْلُ ، أَمْ أَنَّهَا وَجِدَتْ مِنَ الْعَدَمِ ؟ بَلِ الْإِنْسَانُ نَفْسُهُ
الَّذِي تَقُولُونَ عَنْهُ : إِنَّهُ أَصْبَحَ سَيِّدَ هَذَا الْكَوْنِ ، مِنَ الَّذِي
خَلَقَهُ بِهَذِهِ الْكَيْفِيَّةِ ؟ إِنْ جَسَمَ الْإِنْسَانِ وَخَصَائِصُهُ
التَّشْرِيحِيَّةُ تُوَكِّدُ أَنَّهُ مُعْجَزَةٌ بِكُلِّ الْمَقَايِيسِ ، وَأَنَّ
الَّذِي أَمَدَّهُ بِالْعَقْلِ لِكَيْ يَهْتَدِيَ إِلَى هَذِهِ الْاِكْتِشَافَاتِ
الْمُهِّمَةِ هُوَ اللَّهُ - تَعَالَى - !

وَجَدَ كَلَامُ هَذَا الرَّجُلِ قَبُولًا وَاسْتِحْسَانًا لَدَى هَؤُلَاءِ
الْعُلَمَاءِ فَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَشْرَحَ لَهُمُ الْمَزِيدَ فَقَالَ :
- سَوْفَ أَضْرِبُ لَكُمْ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَثَلًا يُوَكِّدُ
كَلَامِي ، فَقَدْ تَحَدَّثَ اللَّهُ - تَعَالَى - عَنْ مَرَاجِلِ خَلْقِ
وَتَكْوِينِ الْإِنْسَانِ وَهُوَ جَنِينٌ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ، وَذَكَرَ
الْحَقَائِقَ الَّتِي لَمْ تَتَوَصَّلُوا إِلَيْهَا إِلَّا فِي هَذَا الْقُرْآنِ !
وَفِي دَهْشَةٍ حَقِيقِيَّةٍ قَالُوا :
- أَحَقًّا ؟ مَاذَا قَالَ الْقُرْآنُ ؟

فَتَلَا فِي خَشَرٍ :

- بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ
مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً فِي قرارٍ مَكِينٍ *
ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا
الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا
آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿ (المزمنون ١٢ - ١٤)
ثُمَّ تَرَجَّمَ الرَّجُلُ لَهُمْ مَعَانِي الْآيَاتِ وَفَسَّرَهَا فَرَاخُوا
فِي دَهْشَةٍ عَمِيقَةٍ وَبَدَأَ عَلَيْهِمُ التَّأَثُّرُ الشَّدِيدُ ، خَاصَّةً
وَهُوَ يَقْرَأُ الْآيَاتِ بِلُغَتِهَا الْعَرَبِيَّةَ الْعَذِيَّةَ .

ثُمَّ قَالَ الرَّجُلُ فِي نَيْرَةٍ تُشَبِّهُ التَّحْدِي :

- بِاللَّهِ عَلَيْكُمْ أَخْبِرُونِي ، هَلْ يَصِحُّ أَنْ نَقُولَ عَنْ
أَحَدٍ غَيْرِ اللَّهِ إِنَّهُ «الْخَالِقُ» ؟
فَأَجَابُوا جَمِيعًا فِي اسْتِسْلَامٍ تَامٍ :

- كَلَّا وَاللَّهِ ، فَهُوَ الْخَالِقُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي أَوْجَدَ كُلَّ
شَيْءٍ مِنَ الْعَدَمِ ، فَمَا مِنْ أَحَدٍ غَيْرِ اللَّهِ يَخْلُقُ حَيَوَانًا
وَاحِدًا لَهُ أَرْجُلٌ يَمْشِي بِهَا وَأَيْدٍ يَطِشُ بِهَا ، وَأَعْيُنٌ

يُبَصِّرُ بِهَا ، وَأَذَانٍ يَسْمَعُ بِهَا مِثْلُ اللَّهِ
- تَعَالَى - ، فَسُبْحَانَ الْخَالِقِ الْخَلْقِ .

وَكَمَا خَلَقَ اللَّهُ - تَعَالَى - السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَالْإِنْسَانَ وَكُلَّ الْكَائِنَاتِ ، فَقَدْ خَلَقَ أَيْضًا الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ
لِكَيْ يَبْلُوَ النَّاسَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا . قَالَ - تَعَالَى - ﴿
تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *
الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ
عَمَلًا ۚ﴾ . (الْمُلْكُ ٢٠١)

وَإِذَا تَأَمَّلْنَا وَتَدَبَّرْنَا مَعْنَى اسْمِهِ - تَعَالَى - (الْخَالِقِ)
لَأَدْرِكُنَا أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - هُوَ وَحْدَهُ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ ،
فَهُوَ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ وَحْدَهُ الْقَادِرُ عَلَى إِعَادَةِ
الْخَلْقِ مَرَّةً أُخْرَى وَمُجَازَاةِ كُلِّ إِنْسَانٍ بِمَا صَنَعَ ..
وَاللَّهُ - تَعَالَى - (الْخَالِقُ) الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ،
خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَخَلَقَ لَهُ كُلَّ وَسَائِلِ الرَّاحَةِ ، فَهَلْ شَكَرَ
الْإِنْسَانُ رَبَّهُ وَخَالَقَهُ ؟